الدرس الثاني عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد عليه أفضل الصلاة و أتم التسليم ،قال الإمام العلامة الشيخ عبد الرحمن السعدي-رحمه الله تعالى و غفر له و للشارح و السامعين - في كتابه أصول العقائد الدينية ،الأصل الرابع :

قال : ويرتبون أيضاً على هذا الأصل صحة الاستثناء في الإيمان فيصح أن يقول أنا مؤمنٌ إن شاء الله لأنه يرجو من الله تعالى تكميل إيمانه فيستثني لذلك ويرجو الثبات على ذلك إلى الممات فيستثني من غير شك منه بحصول أصل الإيمان.

الشيخ : الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمدا عبده و رسوله صلى الله و سلم عليه وعلى آله و أصحابه أجمعين أما بعد

قال المصنف-رحمه الله تعالى - : و يرتبون أيضاً على هذا الأصل صحة الاستثناء في الإيمان ،يرتبون على هذا الأصل ،أي ما سبق ،وهو أن الإيمان يشمل اعتقادات القلوب وأقوال اللسان ،وأعمال القلب والجوارح ،فالإيمان يشمل ذلك كله ،و سبق إيراد بعض الأدلة الدالة على ذلك ،و أيضاً سبق أن أهل الإيمان متفاوتون في الإيمان ليسوا فيه على رتبة واحدة ،منهم من كمل إيمانه و تم دينه و منهم من هو ناقص الإيمان ضعيف الإيمان ،فيقول الشيخ-رحمه الله - : إن أهل السنة يرتبون على هذا الأصل صحة الاستثناء في الإيمان ،الاستثناء هو أن يقول القائل عندما يُسأل مؤمن أنت ؟ أو هل أنت مؤمن ؟ يقول في جوابه :أنا مؤمن إن شاء الله ، أو يقول :أنا مؤمن أرجو ،فهذا يُسمى استثناء في الإيمان ،يقول : إذا سُئل مؤمن أنت ؟ يقول : أنا مؤمن إن شاء الله ، أو يقول أنا مؤمن أرجو ، لكن لا يقول أنا عند الله مؤمن ،أو أنا مؤمن حقاً ،أو أنا مؤمن مكمل الإيمان ، لا يجوز له ذلك ؛لأنه لا يدري عن حال إيمانه من حيث القوة و التمام و لا يدري أيضاً عن إيمانه من حيث الرضا و القبول ،ولهذا إذا سُئل يقول :أنا مؤمن ،إذا سُئل هل أنت مؤمن ؟ يقول أنا مؤمن إن شاء الله ،أو يقول أنا مؤمن أرجو ،و لا يجوز له أن يقول أن مؤمن تام الإيمان ،ولا أن يقول أن مؤمن حقاً ،و لا أن يقول أن مؤمن عند الله ، لا يجزم لنفسه بذلك ،لأن الله سبحانه و تعالى يقول : { فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى } فإذا جزم لنفسه بهذا الجزم فهو مثل قوله أن بر أو أنا تقى أو نحو ذلك من كلمات التزكية التي جاء النهي عنها ،قال تعالى : { فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ } فإذا قال أنا مؤمن على وجه الجزم بما تعنيه كلمة الإيمان من شمول للدين كله فهذا أمر لا يمكن أن يجزم به العبد المؤمن ؛لأنه مهما أدى من الأعمال و فعل من الطاعات لا يزال عنده من التقصير و النقص الشيء الكثير ،ولهذا مذهب أهل السنة أنهم يستثنون في الإيمان عرفنا معنى يستثنون في الإيمان أي يقول أنا مؤمن إن شاء

الله أو أن مؤمن أرجو يستثنون في الإيمان نظرا أو بالنظر إلى أن الإيمان أو كلمة مؤمن تشمل الدين كله وهذا أمر لا يجزم به العبد لنفسه ، فبالنظر لكون الإيمان يشمل الدين كله ، و بالنظر أيضا لكون الإيمان المقبول عند الله سبحانه و تعالى لا يدري عنه العبد كما في الآية الكريمة { وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَهْمٌ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ } [المؤمنون : ٦٠] وجلة أي خائفة ، خائفة من ماذا ؟ عائشة -رضي الله عنها - كما في المسند وغيره ، قالت : سألت النبي صلى الله عليه و سلم عن هذه الآية و قلت : يا رسول الله ،أهو الرجل يزني و يسرق و يقتل و يخاف أن يُعذب ؟ أهذا هو المراد بالآية ؟ { يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ } هل المعنى يفعلون ما يفعلون من المعاصي و الذنوب وهم خائفون أن يعذبهم الله ؟ هل هذا معنى الآية تسأل عائشة -رضي الله عنها - النبي صلى الله عليه و سلم - قال : (لا ، يا ابنة الصديق) أي ليس هذا هو معنى الآية (و لكنه الرجل يصلي و يصوم و يتصدق و يخاف ألا يُقبل) مضت سنة المسلمين من قديم الزمان من لدن زمن الصحابة إلى يومنا هذا إذا تلاقوا يوم العيد سواء عيد الأضحى الذي يعقب طاعة الحج ، أو عيد الفطر الذي يعقب طاعة الصيام ، إذا تلاقوا يوم العيد يقول بعضهم لبعض :تقبل الله منا و منكم ؛لأن الإنسان لا يدري هل قُبل صيامه؟ هل قُبل حجه؟ لا يدري عن ذلك لا يجزم { يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ } يعني يقدمون ما يقدمون من طاعات و عبادات و قلوبهم وجلة أي خائفة ألا تُقبل أعمالهم ، عبد الله ابن عمر وهو من هو في السنة والعبادة و الحرص ،يقول :لو أعلم أنه قُبلت لي سجدة واحدة خير لي من الدنيا و ما فيها ، وهذا حال الكَمَل من عباد الله أنهم يحسنون العمل ، و حسنون الطاعة والتقرب إلى الله بالإخلاص والصدق وفي الوقت نفسه هم خائفون ،بخلاف سيء العمل ممن فيه مرض و في قلبه مرض يسيء العمل وهو آمن ،ولهذا قال الحسن البصري -رحمه الله - : إن المؤمن جمع بين إحسان و مخافة ، و المنافق جمع بين إساءة و أمن . يسيء العمل وهو آمن يسيء العمل وهو عند نفسه أنه أحسن الناس و أفضل الصالحين ، و أكمل العبّاد بخلاف المؤمن المكمل إيمانه تجده مع تكميله إيمانه فيه خوف ، عبد الله ابن أبي مُليكة تابعي جليل يقول :أدرت أكثر من ثلاثين صحابيا كلهم يخاف النفاق على نفسه ، وهذا حال الكَمَل من عباد الله ،انظر إلى خليل الرحمن و الله لم يتخذ من عباده خليلا إلا اثنان إبراهيم الخليل و نبينا عليه الصلاة و السلام ، كان عليه السلام يبني بيت الله بأمر الله تبارك و تعالى ثم يقول وهو يبني البيت { وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } [البقرة : ١٢٧] يسأل الله القبول ، أحد السلف وهو وهيب ابن الورد قرأ هذه الآية - كما في تفسير ابن كثير - فبكى ، قال :خليل الرحمن و يبني بيت الرحمن بأمر الرحمن و يخاف ألا يُقبل .فهذه حال الكَمَل من عباد الله لا يزكون أنفسهم لا يزال يعمل و يجتهد في الطاعة و التقرب إلى الله بالأعمال وهو خائف ، و لهذا إذا قيل أمؤمن أنت ؟ يذكر عندما يُقال له أمؤمن أنت ؟ أن هذه الكلمة تشمل الدين كله ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا .. ﴾ من يجزم لنفسه بأنه ممن هؤلاء ،ولهذا الحسن البصري -رحمه الله تعالى - تابعي جليل سأله رجل ، و انتبهوا لكلامه فإنه عظيم جدا، سأله رجل قال أمؤمن أنت ؟ قال :الإيمان إيمانان ، إن كنت تسألني عن الإيمان بالله و ملائكته و كتبه و

رسله و الجنة و النار فأنا مؤمن ،يعني هذا أنا مؤمن ما عندي شك في ذلك ،مؤمن بالله و مؤمنة بالجنة و مؤمن بالنار و مؤمن بالحساب و مؤمن بالعذاب ،ليس عندي شك في ذلك هذا أصل الإيمان ليس عندي شك في ذلك أنا مؤمن ،و إن كنت تسألني عن الذين قال الله عنهم ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ *الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَرَمَّا زَرَفْنَا لَهُمْ الْيُفُوقَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ..﴾ فلا أدري أنا منهم أو لا ، الله قال عن أولئك ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٤] من يجزم لنفسه ؟ ولهذا أحد الصحابة وهو ابن مسعود سمع رجل يقول أنا مؤمن ،قال : قل أنا في الجنة ،يعني إذا جزمت لنفسك هذا الجرم فالله جل و علا قال عن المؤمنين حقا ﴿ لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ ولهذا أهل السنة و الجماعة يستثنون في الإيمان باعتبار ماذا ؟ هل يستثنون في الإيمان باعتبار أصله ؟ لا ،و إنما يستثنون في الإيمان باعتبار كمال الإيمان لا يجزم أحد منهم لنفسه أنه كمل الإيمان ،والإيمان هذه الكلمة إذا أطلقت أو مؤمن إذا أطلقت شملت الدين كله ،فهو لا يجزم لنفسه بذلك ،لا يجزم لنفسه أنه كمل الإيمان و لا يجزم لنفسه أن إيمانه مقبول ،إيمانه صلاته صيامه حجه عبادته بره هذه كلها إيمان ،من الذي يجزم أن طاعاته هذه مقبولة ؟ و الطاعة كما قال الله عز و جل ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ من يجزم لنفسه أنه حقق التقوى ،وفاز بالقبول و الرضا ؟ و لهذا لا يزال المؤمن يعبد الله و يجتهد بالتقرب إلى الله و عبادة الله سبحانه و تعالى وهو خائف و راجي أيضا يرجو الله أن يتقبل منه ،لكن لا يركي نفسه و لا يجزم و لهذا عدّ السلف - رحمهم الله - قديما من الخطأ الفادح أن يقول الشخص عن نفسه أنا مؤمن عند الله ،أو يقول أنا مؤمن مكمل الإيمان أو يقول أنا مؤمن حقا أو نحو ذلك من الألفاظ ، لا يجوز له ،لكن يقول أنا مؤمن أرجو ، أنا مؤمن إن شاء الله أو يقول آمنت بالله و ملائكته و كتبه و رسله ،أو إذا قيل أمؤمن أنت ؟ يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله أو نحو ذلك من الصيغ المعروفة عند أهل العلم قديما في هذا الباب ، و مما ذكر أهل العلم و استحسونه و أوردوه في كتب العقائد المتقدمة أن أعرابيا سُئِلَ :أمؤمن أنت ؟ قال : أزكي نفسي؟! يعني إذا قلت أنا مؤمن جزمًا بما تدل عليه هذه الكلمة من معاني و دلالات هذه أعظم تزكية للنفس ،و الله نحى عن ذلك قال : ﴿ فَلَا تَزُكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ إذن إذا عرفنا ما سبق وهو أن الإيمان يشمل الدين كله ،يشمل عقائد الدين ،يشمل فرائض الدين ،يشمل تجنب المحرمات ،يشمل فعل الرغائب و المستحبات كل ذلك من الدين و داخل فيه ،فإذا قيل لأحدنا أمؤمن أنت ؟ فالمشروع في حقه في الجواب على هذا السؤال أن يقول أنا مؤمن أرجو ،أو أنا مؤمن إن شاء الله ،أو آمنت بالله و ملائكته و كتبه و رسله ،أو أشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله أو نحو ذلك من العبارات التي لا يكون فيها إشعار بجزمه لنفسه بأنه أدى أو أتى بالإيمان على تمامه و كماله لأن في ذلك تزكية للنفس ،و أيضا توضيحا لما سبق أهل السنة عندما يستثنون في الإيمان يعني عندما يقول أحدهم أنا مؤمن أرجو ،أنا مؤمن إن شاء الله يلحظون عدة أمور الملحظ الأول: يلحظون أن الإيمان يشمل الدين كله و لا أحد يجزم لنفسه أنه كمل الدين ،الملحظ الثاني: يلحظون أن الإيمان النافع هو المتقبل عند الله ،و لا يجزم أحد أن إيمانه قُبل ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ الملحظ الثالث: يستثنون دون شك في أصل الإيمان و لا يلزم

من الاستثناء الشك في أصل الإيمان مثل قول النبي عليه الصلاة والسلام : (**و إن شاء الله بكم لاحقون**) هذا ليس فيه شك ، فهذه بعض الأمور التي يلحظها أهل السنة و الجماعة في استثناءهم لإيمانهم ، ولهذا المشروع في حق المؤمن إذا سُئِلَ أمؤمن أنت ؟ أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله ، أو أنا مؤمن أرجو و له أيضا في الجواب أن يفصّل تفصيل من ؟ الحسن البصري وهو تفصيل عظيم جدا استحسنته أهل العلم و استجودوه يفصل تفصيل الحسن البصري ، لأن الإيمان في النصوص يُطلق و يُراد به أصله و يُطلق و يُراد به تمامه و كماله ، فإذا كنت تريد تمام الإيمان و كماله فأرجو أن أكون منهم أسأل الله أن أكون منهم ، لا أدري أنا منهم أو لا أما إن كنت تقصد أصل الإيمان فأنا مؤمن ، مؤمن بالله وملائكته و كتبه و رسله و الجنة و النار إلى آخره .

قال : و يرتبون أيضا على هذا الأصل صحة الاستغناء في الإيمان فيصح أن يقول أن مؤمن إن شاء الله أو نحوها من العبارات مثل مؤمن أرجو أو آمنت بالله أو أنا مؤمن بالله و ملائكته أو أشهد أن لا إله إلا الله هذه كلها صيغ تؤدي المعنى ، أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله لماذا ؟ لأنه يرجو من الله تكميل إيمانه فيستثني لذلك يعني لا يجزم أن إيمانه كامل فيستثني لذلك و أيضا يرجو من الله قبول إيمانه فيستثني لذلك يستثني باعتبار الكمال و يستثني باعتبار القبول ، و أمر آخر و يرجو الثبات على ذلك إلى الممات فيستثني أيضا هذا اعتبار ، الإيمان النافع هو الإيمان الذي يموت عليه العبد ولا يدري الإنسان ماذا يعرض له من الفتن فيما بعد فيقول أنا مؤمن إن شاء الله أيضا خوفا من سوء الخاتمة و رجاء لحسن الخاتمة ، فيستثني رجاء لحسن الختام ، وقد قال عليه الصلاة و السلام ، بل كان من أكثر دعاء النبي عليه الصلاة و السلام يا مقلب القلوب ثبت قلبي على نيك) قالت أم سلمة - رضي الله عنها - : قلت يا رسول الله ، أو أن القلوب لتتقلب ؟ قال : (ما من قلب إلا هو بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء ، فإن شاء أقامه و إن شاء أزاعه) وفي الدعاء في القرآن ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ۗ ﴾ ﴿ لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا ۗ ﴾ في الصحيحين كان نبينا عليه الصلاة و السلام يقول في دعائه : (اللهم لك أسلمت و بك آمنت و عليك توكلت و إليك أنبت و بك خاصمت ، أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني فأنت الحي الذي لا يموت و الجن و الإنس يموتون) فالإنسان لا يدري ما يعرض له في ما يستقبل من حياته ، الدنيا فتن و شرور و شبهات و شهوات و صوارف و صواد ، ليس العجب ممن هلك كيف هلك ، ولكن العجب ممن نجا كيف نجا ، المهلكات كثيرة التي تهلك الإنسان و تصرفه عن الثبات على الدين وعن الاستقامة كثيرة جدا ، فالعجب ممن نجا كيف نجا أمام هذه الأمواج المتلاطمة ، والفتن المحتدمة التي تصرف و تصد الناس عن دين الله تبارك و تعالى ، فإذا قيل أمؤمن أنت ؟ و استثنى أيضا باعتبار الخاتمة و أنه لا يدري ما يعرض له يرجو الله أن يثبتته على الإيمان إلى أن يموت ، لأنه لو كان مؤمن إيمانا صحيحا ثم ارتد قبل أن يموت و العياذ بالله ومات على الردة هل ينتفع بالإيمان ؟ الردة محبطة مبطلّة لا ينتفع بذلك الإيمان الذي أعقبه ردة إذا مات مرتدا لا ينتفع بذلك الإيمان لا ينتفع لا بصلاة ولا بصيام ولا بحج ولا بصدقات كل هذه لا تنفعه أبدا لا تنفعه ، إذا مات على الردة إذا مات على ناقض من نواقض الدين فإذا الإنسان أيضا لا يدري ما هي الخاتمة فيقول أنا مؤمن إن شاء الله يرجو الله أن يثبتته على الإيمان إلى أن

يموت، هذا المبحث من مباحث الإيمان مبحث مهم و يحتاج المسلم أن يكون على عناية به حتى يمضي في جادته و تعبده إلى الله سبحانه و تعالى على بصيرة ،الآن تجد في بعض الناس عنده إخلال كبير جدا في الدين و في العبادة و ربما عنده نواقض للدين ،و لا يزال يرى نفسه مكمل الإيمان ،لا يزال يرى نفسه من أحسن الناس إيمانا وهو آمن إساءة و امن - و العياد بالله - و لهذا ينبغي للمسلم أن يفهم الإيمان الفهم الصحيح و يفهم جادة أهل السنة -رحمهم الله - في الإيمان ليمضي في دينه و عبادته على بصيرة ، الآن إذا عرفت أن الناس يوم القيامة مؤمن كمل إلى الجنة بدون حساب ،و كفار أهل ردة و أهل زندقة إلى النار مباشرة و آخرون مرجون لأمر الله عملوا عملا صالحا و آخر سيئا خلطوا بين أعمال صالحة و سيئة ،و تجد الآن من هذا الصنف الذي خلط أعمال صالحة و أعمال سيئة يرى نفسه مكمل للإيمان ،بل بعضهم يصل إلى درجة سيئة - و العياد بالله - بمن على الله بعبادته وطاعته ،و الله يقول : ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسَلَّمُوا قُلُوبًا لَمْ يَمُنُوا عَلَيْكَ إِلَّا إِسْلَامُكُمْ بِلِ اللَّهِ يَمُنُونَ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات : ١٧] ،و يقول :﴿-وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ فالمؤمن يشعر بنعمة الله عليه أن هداه للإيمان و أن شرح صدره للدين ،و أن جعله من أهل هذا الدين ،و يسأل الله جل و علا أن يثبتته على هذا الإيمان ،و يحرص على معرفة الإيمان و تفاصيله ليكمل دينه و إيمانه ، و يسأل ربه تبارك و تعالى دوما أن يتقبل منه و يتعوذ بالله تبارك و تعالى من زيغ القلوب و ضلال النفوس ،و لا يجزم لنفسه بالتقى و الهدى و الإيمان و الصلاح لا يجزم لنفسه بذلك ،بل يرجو الله سبحانه و تعالى أن يجعله كذلك و أن يثبتته على ذلك و أن يهديه سواء السبيل ،فهذا من المباحث المهمة العظيمة التي يحتاج كل مسلم أن يعرفه و أن يكون في سيره و تعبده لله على جادة سوية و على صراط مستقيم .

قال-رحمه الله تعالى - : ويرتبون أيضاً على هذا الأصل أن الحب والبغض أصله ومقداره تابع للإيمان

وجوداً وعدمًا وتكميلاً ونقصاً.

الشيخ :أيضا هذه مسألة عظيمة يحل بها الناس إخلالا كبيرا لضعف البصيرة في الدين و ضعف التحقيق للإيمان ، و هي مسألة الحب والبغض ،عندما تحب شخص لماذا تحبه ؟ وعندما تبغض شخصا لماذا تبغضه؟ أنت في حبك وبغضك ما القاعدة التي تنطلق منها و إذا نظر الإنسان على واقع الناس و أحوالهم في هذا الباب تجد منطلقات الحب و البغض متباينة ،و قاعدة الحب و البغض عندهم مختلفة ، فما الذي ينبغي أن يكون عليه المسلم في هذا الباب ؟ باب الحب و البغض ؟ قال عليه الصلاة و السلام : (أوثق عرى الإيمان الحب في الله و البغض في الله) ،وقال عليه الصلاة و السلام : (من أحب لله و ابغض لله و أعطى لله و منع لله فقد استكمل الإيمان) يعني حصل له استكمال للإيمان إذا كان بهذا المستوى ،لو رجعنا إلى مسألة الأولى الاستثناء في الإيمان لو لم يستثن الإنسان في إيمانه إلا لهذه المسألة لكانت لوحدها كافية فكيف إذا نظرنا إلى ما يشتمل عليه الدين من تفاصيل، لو لم يستثن الإنسان في إيمانه إلا هذه المسألة أحب لله و ابغض لله و أعطى لله و منع لله ،من يجزم أنه بهذا المستوى لنفسه في حبه و بغضه و عطائه و منعه ؟ من يجزم لنفسه

بذلك ؟ فلو لم يكن إلا هذه ليستثني الإنسان لأجلها لكانت كافية فكيف إذا نظرنا الاعتبارات العديدة التي يلحظها السلف -رحمهم الله - في استثناءهم في إيمانهم ؟ فإذا هذه مسألة مهمة مبنية على ما سبق أن الإيمان يشمل عقائد و الأقوال والأعمال و أن أهله متفاوتون فيه ،فمسألة الحب و البغض ينبغي أن تنطلق من هذه القاعدة و أن تبني على هذا الأصل .

يقول الشيخ :ويرتبون على هذا الأصل - أي السابق - أن الحب و البغض أصله و مقداره تابع للإيمان، أي هكذا ينبغي أن يكون تابع للإيمان وجودا و عدما ،تكميلا و نقصا ،وجودا و عدما يعني وجد الإيمان الشخص وجد الحب، عدم الإيمان فيه عدم الحب و وجد البغض ،تكميلا و نقصا كمل إيمانه له النصيب الكامل من الحب ،نقص إيمانه نقص نصيبه و حظه من الحب بمعنى أن الحب و البغض هذا أصل يبني قوة و ضعفا و جودا و عدما على الإيمان فإذا وجد الإيمان وجد الحب ،وجد الكفر وجد البغض ،زاد الإيمان زاد الحب نقص الإيمان نقص ،نحن عرفنا عند الشيخ فيما سبق أن الناس ثلاثة أقسام : قسم أتوا بحقوق الإيمان كلها وهؤلاء هم المؤمنون حقا ،من لا يُعرف عنه إلا الاستقامة لا يُرى عليه منكر ولا يُشهد بإخلال و يُرى عليه محافظة على طاعة الله ،هل هذا يليق أن يكون له نصيب و لو قليل من البغض؟ شخص لا يُعرف عنه إلا الطاعة و العبادة والاستقامة و التدين و نحن لنا في هذا الباب الظاهر والله يتولى السرائر ،فإذا كان شخص لا يُعرف عنه في ظاهره إلا الاستقامة و التدين و المحافظة ولا يُعرف عنه أشياء أخرى رذيلة ،هل هذا يصلح أن يُعطى شيء من البغض ؟ هذا له حب لا بغض فيه ، القسم الثاني الذي ترك حقوق الإيمان وهو الكافر ،هل هذا يصلح أن يُعطى شيء من الحب ؟ أبدا الكافر ليس له إلا البغض ،قسم ثالث فيه خير و شر فيه إيمان و معصية ،فهذا هل له الحب الكامل؟ هل له البغض الكامل ؟ لا ،له من الحب على قدر إيمانه و له من البغض على قدر فسوقه و عصيانه ،وهذا معنى كلام الشيخ -رحمه الله -هنا :و يرتبون أيضا على هذا الأصل أن الحب و البغض أصله و مقداره تابع للإيمان ،يعني إذا أحببت شخصا فليكن حبك له تابع للإيمان وجودا و عدما ،تكميلا و نقصا ، فإذا كان مكتملا إيمانه لا يُعرف عنه شيء من الإخلال هذا لا يُبغض ،له حب لا بغض معه ،و إذا كان كافرا أو مرتدا أو زنديقا فهذا له بغض لا حب معه ، و إذا كان مؤمنا عاصيا مؤمنا فاسقا فهذا له من الحب على قدر إيمانه و له من البغض على قدر فسوقه و عصيانه ، لا يُعطى البغض الكامل و لا أيضا يُعطى الحب الكامل ،فإذن المسألة توزن بهذا الميزان، قال :يكون تابعا للإيمان الحب يكون تابعا للإيمان وجودا و عدما تكميلا و نقصا ،هذا الأصل عند كثير من الناس فيه إخلال، و ربما أحيانا تنشأ خصومة بين أخ و أخيه في أمر تافه من أمور الدنيا ،أحيانا تنشأ خصومة بين أخ و أخيه مسلم و مسلم في أمر تافه من أمور الدنيا فيغضب و تثور حميته ويدعو على أخيه لهذا الأمر التافه يدعو على أخيه دعاء لم يُسمع منه قبل ذلك على كافر ،هذا من الخلل في فهم مسألة الحب و البغض و الولاء و البراء ،و ربما اعتدى عليه عدوانا ،ربما لم يصل إلى كافر مثل هذا العدوان ،لأن العدوان حرام هنا و هناك ،نهى الله عز و جل عن العدوان و الظلم ،فتجد في بعض الناس إخلال في هذا الباب بسبب عدم فهم قاعدة الحب و البغض ،وبسبب هذا الإخلال تجد أيضا كثير من الناس حبه وبغضه

لأمر الدنيا ، يعني مبني على المصالح ،ابن عباس -رضي الله عنهما - وهو في الزمان الأول يقول : وقد صارت عامة مؤاخاة الناس في أمر الدنيا ، تجد الناس يتظاهر للآخر بالحب و أنه ليس على وجه الأرض أحب إلي منك و إذا انتهت الحاجة أو المصلحة انتهى الحب ، هذا من الإخلال بهذا الأصل العظيم ،الواجب على المسلم أن يكون الحب و البغض دين يتقرب به لمن ؟ لرب العالمين ،أوثق عرى الإيمان الحب في الله و البغض في الله ، قال عليه الصلاة و السلام: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله و رسوله أحب إليه مما سواهما ،و أن يحب المرء لا يحبه إلا الله - حصر لا يحبه إلا الله لا لدنيا و لا لتجارة و لا لمصلحة و لا لمنفعة إلا الله - ،و أن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يُتذفب في النار) فإذا هذا أصل من الأصول العظيمة التي ينبغي للمسلم أن يجاهد نفسه على تصحيح هذا الأصل فيه فينطلق بحبه وبغضه و ولاءه و براءته من هذا الأصل العظيم ،أيضا لما أبتلي الناس في الأزمنة المتأخرة بالانقسامات و التحزبات و التعصبات و الجماعات ،بل أصبح كل سبب هذا الانقسامات يوالي و يعادي و يحب و يبغض بناء على حزبه أو جماعته أو من هو معطي لهم بيعة أو نحو ذلك فتجد هذه أمور شقت صفوف المسلمين و أوجدت بينهم العداوات ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ﴾ و لهذا ينبغي على المسلم أن يراجع نفسه و يصحح هذا الأصل في قلبه في حبه و بغضه ،عطائه و منعه ،ولائه و براءته ،هذه أمور دين لا يُتقرب فيها لأحد إلا لرب العالمين ، أن يحب الشخص لا يحبه إلا الله و أن يبغض الشخص لا يبغضه إلا الله .

قال رحمه الله تعالى :- ثم يتبع ذلك الولاية والعداوة، ولهذا من الإيمان الحب في الله والبغض لله والولاية لله والعداوة لله.

الشيخ : الولاية و العداوة تنبني على الحب و البغض ،مرتبة عليها ،ولهذا قال الشيخ : ثم يتبع ذلك الولاية والعداوة ،يعني يتبع الحب والبغض الولاية والعداوة ،فالمؤمن يُحب و يُوالى نو الكافر يُبغض و يُعادي ،وليس للمسلم أن يعادي أولياء الله الصالحين من عباد الله ،قال الله تعالى في الحديث القدسي : (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب) ،وما تقرب إلي عبدي بشيء لأحب إلي مما افترضته عليه ،و لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه) فحب الشخص في الله يترتب عليه موالاته و بغضه يترتب عليه معاداته و الولاية و العداوة هي أمر يوجد تلقائيا نتيجة للحب والبغض ، فمن أحب شخصا والاه ومن أبغض شخصا عاداه، يعني وجد في قلبه عداوة له و إن لم يعتدي عليه ،لكن وجد في قلبه عداوة كراهية بغض له،فيتبع ذلك الولاية والعداوة ،ولهذا من الإيمان الحب في الله و البغض في الله و الولاية لله والعداوة لله ،بحيث أن تكون هذه الأمور جزء من إيمان الشخص ،و مرر معنا الحديث قريبا (أوثق عرى الإيمان الحب في الله و البغض في الله) و الله يقول في القرآن ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ﴾ عداوة

و بغضاء فهذا أصل من أصول الإيمان و قاعدة من قواعد الدين منبئية على فهم الإيمان فهما صحيحا أن يكون حب الشخص و بغضه و ولايته و عداوته منبئية على هذا الأصل العظيم.

قال : و يترتب على الإيمان ولا يتم إلا بأن يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

الشيخ : و يترتب على الإيمان و لا يتم إلا بأن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، يترتب على الإيمان يعني على إتيان الشخص بالإيمان و عنايته بتتميم دينه و تكميل دينه و فعل واجبات الدين ، يترتب على ذلك و لا يتم ، و المراد بقوله (لا يتم) أي التمام الواجب وليس التمام المستحب لأن الكمال والتمام يكون تارة يُراد به الواجب وتارة يُراد به المستحب ، فقوله (لا يتم) أي لا يتم الإيمان الذي وجب عليه ، إلا بأن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، إيمانك الواجب الذي أوجبه الله سبحانه و تعالى عليك لا يتم إلا إذا وصل قلبك إلى مرحلة وهي أنه يحب الخير للمسلمين كما يحبه لنفسه ، و إلا لا يكون العبد فعل الإيمان الذي أوجبه الله سبحانه و تعالى عليه أو لم يتمم الإيمان الذي أوجبه الله سبحانه و تعالى عليه ، بمعنى أن من الإيمان الذي أحبه الله عليك أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك ، الدليل قال عليه الصلاة و السلام : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه) ولعل في أولها (والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه) (لا يؤمن أحدكم) ما المراد باللفظ هنا (لا يؤمن أحدكم) هل المراد باللفظ لا يؤمن الإيمان المستحب أو لا يؤمن الإيمان الواجب ؟ خذها قاعدة عندك : لا يأتي نفي الإيمان إلا في ترك واجب (لا إيمان لمن لا أمانة له) الأمانة مستحبة و لا واجبة ؟ واجبة ؛ لأن الله نفي الإيمان عن من لا أمانة له ، فلا يأتي نفي الإيمان إلا في ترك واجب من واجبات الإيمان ، إذن قوله عليه الصلاة و السلام لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه (والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه) واجب علينا أن يكون النبي صلى الله عليه و سلم أحب إلينا من أنفسنا أو مستحب ؟ واجب ؛ لأن الإيمان لا يُنفى إلا في ترك واجب ، هذه قاعدة : لا يأتي نفي الإيمان في الأحاديث إلا في ترك واجب من واجبات الدين ، إذن قوله عليه الصلاة و السلام : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه) أي من الخير ، هذا من الواجبات التي افترضها الله عليك أن تكون دائما و أبدا محبا لإخوانك المسلمين مثل ما تحب لنفسك ، المحبة أين مكانها ؟ القلب ، المطلوب منك في الحديث أمر يتعلق بالقلب انتبه ، المطلوب منك في الحديث أمر يتعلق بالقلب انتبه (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه) يعني أن تكون دائما قلبك نظيف اتجاه إخوانك المؤمنين ، ليس فيه غل ، ليس فيه حسد ليس فيه ضغائن ، ليس فيه حب زوال النعم عن إخوانك إلى آخره ، هذه المعاني إذا وجدت في القلوب تؤدي في القلب إلى نقص الإيمان الواجب ؛ لأنه يجب عليك أن تحب لإخوانك ما تحب لنفسك ، لم يقل لك في الحديث يجب عليك أن تؤثر إخوانك بما تملك أو تعطيمهم ما تملك ، أو أن تقاسمهم ما تملك وإنما الكلام هنا في الحديث على القلب ، (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه) بمعنى أن يكون القلب اتجاه إخوانك المؤمنين ليس فيه إلا الحب حب الخير ، إذا لم يكن كذلك أصبح فيه حسد ، فيه

ضعف فيه أحماد فيه سخائم ، نقص الإيمان الواجب ،وكما أن الإيمان يزيد و ينقص بالأعمال الظاهرة فهو كذلك يزيد و ينقص بالأعمال القلبية الباطنة ،فإذا أحببت لإخوانك المسلمين ما تحب لنفسك زاد إيمانك ،و إذا -والعياذ بالله - كان في قلب الإنسان غل أو حقد أو حسد أو غير ذلك من أمراض القلوب نقص إيمانه بحسب ذلك ،والمراد بنقص إيمانه أي الواجب ،لأنه يحرم على الإنسان أن يحسد إخوانه أو يملأ قلبه غلا على إخوانه أو حسدا أو غير ذلك من أمراض القلوب ،فهذا من الأصول المهمة التي ينبغي على الإنسان أن يعتني بها و يتسما عند أهل العلم مداواة النفوس ، مداواة القلوب ،وفي الحديث (اللهم آتِ نفوسنا تقواها و زكها أنت خير من زكاها أنت وليها و مولها) و من الدعاء العظيم المأثور عن نبينا عليه الصلاة و السلام وهو ثابت عنه (اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك وحب العمل الذي يقربني إلى حبك) بحيث الإنسان تكون هذه محابه يحب الله و يحب من يحبه الله و يحب الأعمال التي يحبها الله سبحانه و تعالى و يرضاها.

قال:ويترتب على ذلك أيضاً محبة اجتماع المؤمنين والحث على التآلف والتحابب وعدم التقاطع.

الشيخ :هذا أيضا من الأصول المنبئية على ما سبق وهي دلالة على تمام الإيمان ،قال و يترتب على ذلك أيضا محبة اجتماع المؤمنين أن يكون دائما المسلم حريصا على أن تجتمع كلمة المسلمين و أن تأتلف قلوبهم و أن تزول عنهم العداوة و البغضاء و الخصومات ،و يكون حريصا على ذلك ،و من الدعاء المأثور (اللهم أصلح ذات بيننا و ألف بين قلوبنا و ألف بين قلوبنا) و الله يقول : ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نُّجُوَاهُمْ إِلَّا مَن أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ فمن ما يتبع ما تقدم أن يكون العبد محبا اجتماع المؤمنين ،قلبه يجب اجتماع المؤمنين ،و إذا سمع أن اثنين من المسلمين كانوا في خصومة و تصالحوا يفرح و يسر بذلك سرورا عظيما هذا من علامات الإيمان و علامات الخير ،وإذا كان هذا من علامة الإيمان أو علامة تتميم الإيمان الواجب فما هي خاتمة النمام هنا في هذا الموضوع ؟ وقد قال عليه الصلاة و السلام : (لا يدخل الجنة قتات) القتات الذي ينقل الكلام بين الناس لإيجاد القطيعة و الفرقة بين الإخوان ، ثم لا يهدأ له بال ولا يقر له قرار إلا إذا وجد الإخوان متخاصمين ،إذا وجدهم في خصومة و بينهم شجار يرى نفسه حقق مأربه وهدفه ،والنمام مفسد في المجتمعات كما قال بعض السلف يفسد النمام في ساعة مالا يفسده الساحر في سنة ، وما خاتمة أيضا أهل الغيبة ؟ الذن يغتابون الناس حتى توغر الصدور و تمتلئ بالعداوات ؟ ولهذا من علامات تتميم الإيمان الواجب أن تحب في قلبك اجتماع المؤمنين و تسأل الله تبارك و تعالى أن يجمع قلوب المؤمنين على البر و التقوى و أن يؤلف بينهم ، كما مر معنا في الدعاء (اللهم أصلح ذات بيننا و ألف بين قلوبنا و اهدنا سبل السلام) قال : والحث على التآلف و التحاب و عدم التقاطع ، قال عليه الصلاة و السلام : (لا تحاسدوا و لا تناجشوا و لا تدابروا و لا تباغضوا و لا بيع بعضكم على بيع بعض و كونوا عباد الله إخوانا) و الله سبحانه و تعالى يقول : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ

فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَابِكُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات : ١٠] ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللُّقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُم الظَّالِمُونَ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ حذر الله جل و علا من هذه الخصال السخرية اللمز الهمز الغيبة .. إلى آخره ، لماذا ؟ لأنها .. الأخوة و تنقض عراها ، و المسلمون مطالبون بالمحافظة على الأخوة الإيمانية ، مطالبون بالمحافظة على أخوة الإيمان ، و ألا يأتوا بشيء ينقض هذه الأخوة ، والسخرية و النميمة و الغيبة و الهمز و اللمز إلى آخره هذه كلها .. في الأخوة و تنقض من عراها و تفكك من أواصرها ، ولهذا طوبأ أهل الإيمان بالبعد عن ذلك كله و الحذر منه حفاظا على أخوة الإيمان ، وفي حديث آخر قال عليه الصلاة والسلام : (مثل المؤمنين في توادهم و تراحمهم مثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى) أو (الحمى و السهر) و قال عليه الصلاة و السلام : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) هكذا يطلب من أهل الإيمان أن يكونوا فإذا خرجوا عن هذا النطاق و عن هذا الإطار دخلوا في مثل هذه الأعمال السخرية اللمز الغيبة النميمة إلى غير ذلك من الأعمال تفككت الأخوة الإيمانية و أيضا إذا أصبح هم الإنسان نفسه و تجارته لا يبالي نجش بيع على بيع أخيه ، غش في تجارته و بيعه المهم أن يكون يربح و لا يبالي بإخوانه و ليكن لهم ما يكن هل هذا حقق الإيمان الواجب ؟ من كانت هذه صفته حقق الإيمان الواجب ؟ لا ، شخص يدخل التجارة وهمه أن يربح ، بعضهم تأتي على لسانه ولا يبالي يقول في ستين داهية المهم أنني أنا الرباح ، و الآخر أخوك المسلم تعاملت بغش تعاملت معه بخيانة ، تعاملت معه بتعاملات محرمة هذا لا يهتمك ؟! إذا كان الإنسان بهذه الدرجة لا ريب أن إيمانه الواجب ناقص ، و أنه آثم و الله سبحانه و تعالى سيحاسبه على ذلك ، و في النصوص الوعيد على هذه الأعمال و التحذير منها ، والواجب أيضا في هذا المقام أن يكون رأس المال الأساسي عندك في الدنيا هو الإيمان ، الواجب أن يكون رأس المال والأساس الذي لا تساوم عليه هو الإيمان وليكن أن يفوتك شيء من أمر الدنيا ، المهم حافظ على رأس المال و انظر في هذا المعنى حديثا عظيما عن نبينا عليه الصلاة و السلام يقول : (أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا : صدق الحديث ، وحفظ الأمانة ، و حسن الخليقة ، و طيب المطعم) هذه أربعة أساسيات حافظ عليها ، لو فاتك شيء من أمر الدنيا في سبيل محافظتك على هذه الأربعة الأساسيات لا تبالي ، لو جاءك ربح مغري لكنه متوقف على الكذب كن صادقا و لا عليك ، كان متوقفا على إضاعة الأمانة كن أميناً و لا عليك ، متوقفا على إهدار الأخلاق حافظ على الخلق الحسن و لا عليك ، لا عليك ما فاتك من الدنيا وهذا فيه تنبيه إلى أن المؤمن ينبغي عليه أن يكون رأس ماله هو دينه لا يجعل الدنيا مقدمة على دينه و يضيع دينه في سبيل دنياه وفي الدعاء المأثور عن نبينا عليه الصلاة و السلام : (اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا

(هذا أصل مهم ولهذا بعض الناس يأتيه مرحلة من المراحل في اهتمامه بالدنيا و طلبه لها و حرصه على كسب المال و لا يبالي لو ضاعت جوانب من واجبات الدين ، هذا من الإخلال الذي يوجد في كثير من الناس فيضيع جوانب من واجبات دينه في سبيل دنياه ، والدنيا مهما كانت متاع الغرور متاع زائل ، فالعاقل يجعل رأس ماله و أساس الأمر الذي يحافظ عليه هو دينه و إيمانه و طاعته لله سبحانه و تعالى ولا يساوم على ذلك في أمور الدنيا الفانية الزائلة ، قال: والحث على التآلف والتحاب ، بمعنى أن المسلم مطالب أن يقوي هذه المعاني في صفوف المسلمين ، و يحرص على أنهم يتآلفون ويتحابون ويتوادون ، وإذا علم بين أخوين شيء من العداوة يسعى في الصلح بين الإخوان ، إزالة العداوات و البغضاء يحرص على ذلك هذا من الإيمان الذي يثيب الله سبحانه و تعالى عليه أعظم الثواب ، و بالمقابل أيضا يحرص بأن يتعد عن كل أمر يضعف الأخوة الإيمانية .

قال -رحمه الله تعالى - : و يبرأ أهل السنة و الجماعة من التعصبات و التفرق و التباغض ، و يرون هذه القاعدة من أهم قواعد الإيمان ، و لا يرون الاختلاف في المسائل التي لا توصل إلى كفر أو بدعة موجبة للتفرق .

الشيخ : وهذه أيضا قاعدة مفيدة في هذا الباب قد يخل بها أيضا أناس ، يقول : و يبرأ أهل السنة و الجماعة من التعصبات و التفرقات و التباغض ، يبرأ أهل السنة من التعصبات إما أن يجعل أناس لهم شيئا يتعصبون له يوالون عليه و يعادون أو يجعلون لهم حزبا و تنظيما يوالون عليه و يعادون عليه ثم تصح لهجتهم في يوم من الأيام أنت منا أو لست منا أنت معنا أو لست معنا و تبدأ التعصبات التي تفرق كلمة المسلمين و تنشر بينهم العداوات و يصبح حب الشخص و بغضه مبني على العصبية التي التزمها و استمسك بها فأهل السنة يبرءون من التعصبات و يبرءون أيضا من التفرق ، أي شيء يفرق بين المسلمين يبرءون منه ، و قد قال عليه الصلاة و السلام في الحديث الذي ذكرناه سابقا : (لا تباغضوا) أي لا تفعلوا شيئا يوجد بينكم وبين بعض البغضاء ، و تعليقا على هذا الحديث قال أحد أهل العلم المتقدمين في قوله عليه الصلاة و السلام (لا تباغضوا) نهي عن البدعة ؛ قال : لأن البدعة إذا وجدت أوجدت البغضاء وهذا فيه تنبيه على مسألة مهمة في الباب وهي أن السنة تجمع و البدعة تفرق ، و لهذا يُقال أهل السنة و الجماعة ، و أهل البدعة و الفرقة ، لأن السنة تجمع المسلمين لا يمكن أن يحصل للمسلمين اجتماع إلا على السنة ، أما على البدع لا يمكن يجتمعوا ، لا يمكن إطلاقا أن يجتمعوا على بدع ، الاجتماع لا يمكن أن يكون إلا على السنة و لهذا البدع عندما توجد في الناس تكون سببا للتفرق ، كل يتعصب لبدعته و هواه وينصرها و يعادي من لا يجبهها ، و تمضي فرقة و عداوات بسبب البدع ، ولهذا يحرص كل مسلم على اجتماع الناس على السنة ، و الاهتداء بهدي النبي عليه الصلاة و السلام ، و البعد عن أسباب الفرقة ، و الله تعالى يقول : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ قال : و التباغض : أي يبرءون إلى الله عز و جل من التباغض بين المسلمين ، و إيجاد أسباب البغضة أيضا يبرءون إلى الله عز و جل من ذلك ، و يحذر

المسلم أن يكون في قلبه بغضة لإخوانه المسلمين لمجرد الأهواء و لمجرد الأغراض الدنيوية و حظوظ النفس و نحو ذلك ، أما البغض في الله المبني على أصول شرعية و أسس مرعية فهذا من الدين ، قال: و يرون هذه القاعدة من أهم قواعد الإيمان ، لأنها قاعدة يحصل عليها و بها اجتماع المسلمين و زوال الفرقة ، و لا يمكن أن يجتمع المسلمين إلا على كلمة التوحيد لا إله إلا الله ، و على إتباع سنة النبي عليه الصلاة و السلام ، إذا وجد مخالفات لكلمة التوحيد أو وجدت بدع مخالفة لسنة النبي صلى الله عليه وسلم ما يمكن يكون اجتماع على ضلال أو على شركيات أو على بدع و ضلالات لا يمكن ، فالذي يجمع السنة و التي تفرق هي البدعة و الضلال .

قال: و لا يرون الاختلاف في المسائل التي لا توصل إلى كفر أو بدعة موجبة للتفرق ، الكفر و البدعة أمرها آخر إذا وجد الكفر أو وجدت البدعة ، الكفر المصادم للتوحيد و البدعة المصادمة للسنة إذا وجد هذان ينبغي أن يعالجا بحزم وعزم ، و أن يُنكر ذلك و أن يكون هناك علاج حاسم لهذا الأمر ، بيانا و ردا و نقضا للباطل و إزالة للشبهات و نصره لدين الله تبارك و تعالى ، فالبدع أو المخالفات التي هي كفر أو بدعة فهذه ينبغي أن تُعالج بحزم و أما الأمور التي هي خلاف في فهم النصوص ، أو في الاستنباط و طريقة الاستنباط و الاستدلال فهذه مسائل لا توجد بين المسلمين فرقة أو لا توجد بين الإخوان شقاقا و عداوة ؛ لأن هذه أمور محتملة و كل له وجهة نظره في الاستنباط و الاستدلال ، أما الكفر والشرك والبدع الواضحة المخالفة لهدي النبي عليه الصلاة و السلام فهذه أمرها آخر ، هذه بعض التأصيلات المهمة العظيمة يقررها الشيخ - رحمه الله تعالى - و لا يزال أيضا لهذا الباب تمة نافعة تؤجل إن شاء الله إلى لقاء الغد ، و تبدأ بقوله - رحمه الله تعالى - : و يترتب على الإيمان محبة أصحاب النبي عليه الصلاة و السلام ، ففي لقاء الغد إن شاء الله في الصباح نبدأ صباحنا مع هذا الموضوع العظيم محبة أصحاب نبينا عليه الصلاة و السلام ، وأيضا الموضوعات الأخرى التي يطرحها الشيخ - رحمه الله و غفر له - و نفعنا جميعا بما علمنا و جعل سبحانه و تعالى ما نتعلمه حجة لنا لا علينا ، و نسأله جل و علا أن يصلح لنا أجمعين شأننا كله و أن يزيننا بزيينة الإيمان ، و أن يجعلنا هداة مهتدين غير ضالين و لا مضلين ، و أن يعيدنا من الشرك والشك و النفاق و سيء الخلاق ، و أن يعيدنا من الفتن و من البدع و من الأهواء ما ظهر منها و ما بطن ، و أن يرزقنا إتباع السنة و أن يوفقنا لكل خير يحببه و يرضاه ، و أن يغفر لنا و لوالدينا و مشايخنا و للمسلمين و المسلمات و المؤمنين و المؤمنات الأحياء منهم و الأموات إنه تبارك و تعالى غفور رحيم ، و صلى الله و سلم على رسول الله .